

حسن البنا وقضايا أمته.. في ذكرى استشهاده



في زمنٍ تتبدل فيه خرائط القوة، وتُعاد صياغة موازين العالم على حساب المستضعفين، تعود ذكرى استشهاد الإمام حسن البنا لتذكرنا بأن معركة الوعي لا تقل شانًا عن معركة التدافع والصراع، وأن مشروع النهضة لا يموت باغتيال صاحبه.

لم يكن حسن البنا صفةً في تاريخ مضى، بل كان فكرة سبقت زمنها، وما تزال تنتظر تمام تحقّقها. وفي خضم ما تعشه أمتنا اليوم من استهداف لقيمها وقضاياها، تتجدد الحاجة إلى استحضار منهجه في الجمع بين الإيمان والحركة، وبين البناء الداخلي ومواجهة التحديات العالمية.

ومن هنا، فإن الحديث عنه ليس استعادةً لذكرى فحسب؛ بل قراءة في مشروع يعيد للأمة مجدها وعزتها..

فحسن البنا.. لم يكن هذا اسمه فحسب، بل كانت صفتة كذلك. فقد كان البناء، وإحسان البناء، وعقرية البناء، من ألزم صفاتـه.

نشأ الرجل في بيئـة سلفية، فأخذ منها العلم والفقـه.. وهو ما أعاـنه على اختيار الصواب من بين زحام البدائل وضجيج الأصوات. والتحق بطريقـة صوفـية فأخذ منها التذوق والفيض؛ وهو ما أعاـنه على أداء الواجب واحتمال عذابـات النتائج برجولة وشرف وارتياح ورضا.

لقد قدّم الرجل لأمتـه فكرا نضيـجاً؛ هو الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، والحكومة جـزءـ منه.. والحرية فريـضةـ من فرائـصـه.. وقدـمـ جـيلاً جـديـداً.

يـعرفـ في مجـتمعـهـ بـسمـتهـ الخـاصـ؛ من حـالـ صالحـةـ قـويـةـ، وبـذـوقـهـ الخـاصـ.. من إـلـفـ المـشـقةـ وـتـعـودـ الخـشـونـةـ.. وبـفـلـسـفـةـ العـالـيـةـ من رـوحـ الـكـفـاحـ وـافتـداءـ الفـكـرةـ.

لقدـ كـانـ حـيـاتـهـ صـادـقةـ لـمـاـ كـانـ يـؤـمـنـ بـهـ، وـيـعـتـزـ بالـإـنـسـابـ إـلـيـهـ وـيـدـعـوـ إـلـيـهـ.

فـفيـ ظـلـ ظـرـوفـ صـعبـةـ وـمـعـقـدةـ؛ فـأـجـأـتـ الـعـالـمـ الـإـسـلـامـيـ.. شـخـصـيـةـ فـذـةـ – إـنـهـ حـسـنـ الـبـنـاـ – الـذـيـ كـانـ إـيجـابـيـاـ فـيـ نـظـرـتـهـ، وـاقـعـيـاـ فـيـ طـرـحـهـ، رـغـمـ قـدـرـتـهـ عـلـىـ الـخـيـالـ.

واجه البناء فكراً مغلطاً؛ فصححه، وقدمه لأمته نضيجاً، فيه كل ما تطمع الأمة إليه من خير.. وما ترجوه من صواب.. هو موجود وزيادة.. ومحرر من دخنه كذلك. وهو ما كلفه راحته وحياته.

فمن بين تراث هائل مشرق منير اختار الرجل الأحسن والأفضل.. والأكمـل والأوفـى..

يقول رحـمه الله.. خـيرـت فـاخـترت: بين التـصـوـف الصـادـق وـما يـعـنيـه من التـأـمـل وـالـعـزـلـة.. وـبـيـن التـعـلـيم وـالـإـرـشـاد وـما يـعـنيـه من مـخـالـطـة النـاس وـغـشـيـان مـجـامـعـهـمـ؛ فـاخـترتـ الثـانـيـ، بـعـد أـنـ نـهـجـتـ الـأـولـ. لـأـنـ الـعـلـمـ الـذـي لـأـيـتـعـدـيـ نـفـعـهـ صـاحـبـهـ قـاصـرـ ضـئـيلـ.

وـأـمـا الـعـلـمـ الـذـي يـنـتـفـعـ بـهـ العـاـمـلـ وـغـيـرـهـ، مـنـ قـوـمـهـ وـبـنـيـ جـنـسـهـ يـكـونـ شـرـفـهـ، وـيـكـونـ خـطـرـهـ، وـيـكـونـ جـلـلـهـ.

وـوـاجـهـ الـبـنـاـ تـدـيـنـاـ مـحـصـورـاـ فـيـ الصـوـامـعـ وـالـبـيـعـاتـ.. وـالـرـبـطـ وـالـخـلـوـاتـ؛ فـأـذـاعـهـ وـنـشـرـهـ، ليـتـنـاـولـ مـظـاهـرـ الـحـيـاةـ جـمـيـعـاـ.. دـيـنـاـ وـدـوـلـةـ.. مـصـحـفـاـ وـسـيـفـاـ.. عـقـيـدـةـ وـعـبـادـةـ، سـوـاءـ بـسـوـاءـ.

وـوـاجـهـ الرـجـلـ جـيـلاـ أـفـسـدـتـهـ رـوـحـ الـخـنـوـثـةـ وـالـمـيـوـعـةـ، وـالـإـسـتـهـتـارـ وـالـجـبـنـ؛ فـأـلـبـسـهـ لـبـاسـ الـجـدـ؛ فـفـارـقـ الـلـذـاتـ وـالـشـهـوـاتـ.

وـوـاجـهـ جـيـلاـ أـفـسـدـتـهـ عـقـدـةـ النـقـصـ وـالـدـوـنـيـةـ، وـالـإـعـجـابـ بـالـخـصـمـ إـعـجـابـاـ أـدـىـ إـلـىـ تـقـلـيـدـهـ فـيـ كـلـ مـاـ صـدـرـ عـنـهـ؛ فـجـعـلـ وـرـاثـةـ الـنـبـوـةـ ظـاهـرـةـ فـيـ شـمـائـلـهـ.

وـوـاجـهـ الـبـنـاـ، تـقـرأـ فـيـ قـسـمـاتـ وـجـهـهـ، وـتـرـىـ فـيـ بـرـيقـ عـيـنـيـهـ، وـتـسـمـعـ مـنـ فـلـتـاتـ لـسـانـهـ؛ مـاـ يـدـلـكـ عـلـىـ مـاـ يـضـطـرـمـ فـيـ قـلـبـهـ مـنـ جـوـيـ لـاصـقـ، وـأـلـمـ دـفـينـ. وـمـاـ اـنـطـوتـ عـلـيـهـ نـفـسـهـ مـنـ هـمـةـ عـالـيـةـ، وـعـزـيمـةـ صـادـقـةـ، وـغـايـةـ بـعـيـدةـ.. ذـلـكـ شـانـ الـمـجـاهـدـينـ مـنـ الـأـفـرـادـ وـالـأـمـمـ.

وـوـاجـهـ مجـتمـعاـ مـتـرـديـاـ؛ نـفـوسـ أـهـلـهـ، لـاـ تـصلـحـ لـعـملـ جـدـيـ؛ فـأـسـرـعـ إـلـيـهـ لـيـلـيـهـضـهـ، وـيـقـوـيـ مـنـ رـوـابـطـهـ وـيـرـفـعـ مـنـ درـجـةـ أـخـوـتـهـ بـالـتـعـارـفـ وـالـتـالـفـ، ليـكـشـفـ كـوـامـنـ الـعـظـمـةـ فـيـ نـفـوسـ رـجـالـهـ وـنـسـائـهـ.. وـيـعـلـمـ مـنـ حـانـ أـوـانـهـ وـوـجـبـ نـدـبـهـ.. وـمـنـ يـتـرـيـثـ فـيـ أـمـرـهـ إـلـىـ حـيـنـ.

كـانـ مـشـغـلـاـ بـهـدـيـةـ الـعـالـمـ أـجـمـعـ، وـنـشـرـ رسـالـةـ الـإـسـلـامـ. وـأـرـادـ مـنـ الـأـمـةـ الـإـسـلـامـيـةـ أـنـ تـعـدـ نـفـسـهـاـ لـذـلـكـ.

بـالـتـقـارـبـ وـالـتـصالـحـ؛ لأنـ سـيـراـ بـدـايـتـهـ مـاـ نـحـنـ فـيـهـ، وـنـهـاـيـتـهـ الـعـالـمـ أـجـمـعـ؛ يـحـتـاجـ مـنـ الـأـمـةـ الـتـيـ تـرـيدـ ذـلـكـ؛ أـوـ تـحـاـولـهـ.. أـنـ تـعـلـنـ حـسـنـ اـسـتـعـادـهـاـ لـإـصلاحـ العـيـوبـ، وـأـنـ تـكـلـفـ أـنـفـسـهـاـ غـايـةـ مـاـ تـسـتـطـعـ.. فـقـدـ يـأـتـيـ مـنـ يـقـفـوـهـاـ، فـيـسـتـطـعـ فـوـقـ مـاـ اـسـتـطـاعـتـ.. وـهـوـ مـقـامـ فـيـ الـإـيمـانـ لـيـسـ وـرـاءـهـ مـقـامـ، يـسـعـ النـاسـ فـيـ هـذـاـ الـعـالـمـ الـوـاسـعـ.

وـبـالـتـكـافـلـ وـالـتـسـانـدـ؛ لأنـ الـفـقـرـ الـمـحـضـ يـجـعـلـ الـنـهـوـضـ الـرـوـحـيـ أـمـرـاـ غـيرـ مـيـسـورـ.. كـيفـ يـسـتـشـعـرـ مـعـنىـ الـعـزـةـ وـالـكـرـامـةـ مـنـ عـرـىـ جـسـدهـ وـجـاعـ بـطـنـهـ..!!؟

فـلـمـاـ عـزـمـ وـمـضـىـ كـانـ قـدـ خـلـفـ وـرـاءـهـ، أـمـةـ مـقـبـوـلـةـ الـدـعـوـاتـ.. طـاهـرـةـ الـفـهـمـ.. تـقـودـ وـلـاـ تـنـقـادـ.. تـؤـثـرـ وـلـاـ تـأـثـرـ.. تـوجـهـ وـلـاـ تـتـوجـهـ.

فـفـيـ بـعـضـ سـنـينـ قـصـارـ؛ كـانـ هـنـاكـ مـنـ يـهـتـفـ بـهـ، وـيـقـتـلـ مـنـ أـجـلـهـ.

لـقـدـ عـرـفـ رـجـلـ الشـارـعـ بـدـعـوـتـهـ حـقـيـقـةـ وـجـوـدـهـ.. وـغـايـةـ حـيـاتـهـ؛ فـهـتـفـ مـنـ أـعـماـقـهـ: "الـلـهـ غـايـتـنـا.. الرـسـولـ قـدـوـتـنـا.. الـجـهـادـ سـبـيلـنـا.. الـمـوـتـ فـيـ سـبـيلـ اللـهـ أـمـنـيـتـنـاـ".

وـكـانـ قـضـاـيـاـ أـمـتـهـ؛ حـاضـرـةـ فـيـ أـعـماـقـهـ.. تـدـخـلـ نـفـسـهـ عـلـىـ مـهـلـ.. دـوـنـ اـقـتـحـامـ أـوـ عـنـاءـ.. فـكـانـ يـقـولـ: فـلـسـطـينـ الـجـرـيـحةـ يـتـهـدـدـهـاـ التـقـسيـمـ.. وـبـاـكـسـتـانـ التـاـشـئـةـ يـتـهـدـدـهـاـ الـعـدـوـانـ الـوـشـنـيـ الـمـسـلـحـ.. وـإـنـدوـنيـسـيـاـ الـمـسـلـمـةـ تـعـانـيـ وـتـحـرـمـ.. وـطـرـابـلـسـ وـبـرـقـهـ تـلـكـ الـتـيـ تـجـهـزـ لـهـ حـبـائـلـ الـاستـفـتـاءـ.. وـلـاـ يـعـلـمـ عـوـاقـبـ ذـلـكـ الاـلـلـهـ..

وـجـنـوبـ إـيـطـالـياـ وـصـقلـيـةـ وـجـزـرـ بـحـرـ الرـوـمـ وـالـأـنـدـلـسـ الـإـسـلـامـيـةـ.. تـلـكـ الـأـصـقـاعـ الـتـيـ سـعـدـتـ بـالـإـسـلـامـ حـيـنـاـ، ثـمـ أـصـابـهـاـ نـكـدـ الطـالـعـ فـانـحـسـرـ عـنـهاـ ذـلـكـ النـورـ.. نـتـأـلمـ وـنـحـنـ نـرـاهـاـ تـتـأـرـجـحـ بـيـنـ مـاـ أـرـادـهـ لـهـ أـعـداـءـهـ.. مـنـ وـضـعـ اـجـتـمـاعـيـ شـائـيـ مـمـسـوـخـ.. وـمـاـ يـرـيدـهـ لـهـ رـبـهاـ مـنـ وـضـعـ اـجـتـمـاعـيـ سـلـيـمـ يـقـومـ عـلـىـ تـعـالـيـمـ الـإـسـلـامـ وـهـدـيـهـ وـإـرـشـادـهـ.



والسودان الشقيق.. وهو مصر الجنوبية، أما مصر فهي السودان الشمالية. وكلانا وادي النيل.. جرت في عروقنا مياهه.. ونبت أجسادنا من طينه وطميه. ولايزال الإسلام يشق طريقه إليه رغم ما بذل في سبيل منعه من جهود هدامة.

لن نسكت على هذه الحال!!! وإن كلفنا ذلك راحتنا وحياتنا.. سوف نعبر بدعوتنا إلى مراحل وغایات.. بشعارات ومهارات.. حتى نبلغ بها آفاق الأرض، ونخضع لها كل جبار.

ويقولون متى هو؟!! قل عسى أن يكون قريبا.

من أجل ذلك.. أيقط الرجلوعياً.. وجهز جيشاً.. وخاض حرباً من أجل قضايا أمته الكبرى.. الحاضرة القريبة.. العادلة الرحيمة.. رغم ما أصابها من الجراحات.. وسقط حوله الشهداء... .

ومن بقيَ منهم خضبت الدماء محاسن وجهه!!

ولا نزال نرفع رايتنا عالية خفاقة في الأفق!!

لأجل ذلك .. لم يكن الغرب ليقف مكتوف الأيدي أمامه.. ولم يكن هناك بُدُّ من إيقافه، بالإطاحة به أو باغتياله.. وهو ما كان!!

كما أن الشرق لم يستطع أن يحتفظ طويلاً بالكنز الذي بين يديه.. وهو ما كان !!

فسقط الرجل مضرجاً في دماءه على قارعات الطرق.. برصاصات غادرات!! في ليلة مظلمة شاتية حزينة !!

لم تكن ألف خطبة وخطبة، من كلمات الفقيد الشهيد، لتثير في النفس ما أثاره ذلك الدم الزكي المهراق !!

لن يمر وقت طويل حتى يقول التاريخ النظيف فيه كلمته !! ويروي الراوي الصادق عنه يوماً قصته !! لقد مر الرجل في تاريخ مصر مرور الطيف العابر الذي لا يتكرر.. لقد كان الكلمة التي سبقت وقتها، بل التي لم يأتي وقتها بعد!! رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة والعطاء.

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ فَمَمَّا زَرَدُ فَيَدْهَبُ جُفَاءً وَمَمَّا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَال﴾ [الرعد:17].

الدكتور صلاح عبد الحق

القائم بأعمال فضيلة المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين

الخميس 24 شعبان 1447هـ؛ الموافق 12 فبراير 2026م